

جمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة جيجل
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

السيميوطيقا عند تشارلز بيرس

Semiotics according to Charles Sanders Peirce

السنة الأولى ماستر
من إعداد:
الدكتورة سامية بوكحيل

2024

الملخص

تتناول هذه الورقة البحثية المقاربة السيميوطيقية عند تشارلز سندرلز بيرس (1839-1914)، المؤسس الموازي لعلم العلامات في التقليد الأنجلو-ساكسوني. وتستعرض الورقة تعريف بيرس للسيميوطيقا كمنطق شكلي للعلامات، وتصنيفه الثلاثي للعلامات إلى أيقونات وإشارات ورموز، ونموذجه الثلاثي الأبعاد (التمثيل، الموضوع، المؤول)، ومبدأ اللامحدودية السيميوطيقية. وتبين الورقة أن مقاربة بيرس البراغمية تُوفّر إطاراً مفتوحاً لتحليل العلامات يختلف جوهرياً عن المقاربة البنيوية السوسيرية، مما أثر بشكل عميق في تطور السيميوطيقا الأمريكية.

الكلمات المفتاحية: السيميوطيقا، تشارلز بيرس، الأيقون، الإشارة، الرمز، التأويل، البراغمية

المقدمة

يُعدُّ تشارلز سندرلز بيرس (1839-1914) المؤسس الثاني لعلم العلامات بوصفه منظومة مستقلة، وقد طوّر نظريته بشكل موازٍ ومستقل عن فرديناند دي سوسير. وتتميّز مقاربة بيرس بطابعها المنطقي البراغمي، حيث يرى أن العلامة لا تكتسب معناها إلا في سياق الاستعمال الفعلي ضمن مجتمع تواصل معيّن. وقد ترك بيرس إرثاً نظرياً هائلاً موزعاً على آلاف الصفحات من مخطوطاته التي لا تزال تُنشر تدريجياً. وتسعى هذه الورقة إلى تقديم عرض منهجي لأبرز مفاهيم بيرس السيميوطيقية وبيان أثرها في تطور علم العلامات المعاصر.

أولاً: تعريف السيميوطيقا عند بيرس

عرّف بيرس السيميوطيقا بأنها "المنطق الشكلي للعلامات"، أي الدراسة المنهجية للعلاقات التي تربط العلامات ببعضها وبالمرجعيات التي تشير إليها وبالمؤولين الذين يفسرونها. وخلافاً لسوسير الذي جعل اللسانيات نموذجاً للسيميولوجيا، انطلق بيرس من المنطق والفلسفة البراغمية، معتبراً أن كل فكر يقع بالضرورة في علامات، وأن التأويل عملية لا متناهية. وبذلك يكون بيرس قد أسس لسيميوطيقا أوسع نطاقاً من السيميولوجيا السوسيرية، إذ تشمل كل أنواع العلامات بأشكالها المختلفة دون حصرها في النموذج اللغوي.

ثانياً: التصنيف الثلاثي للعلامات

1. الأيقون (Icon)

الأيقون علامة تشبه موضوعها أو تحاكيه، كالصورة الفوتوغرافية التي تشبه الشخص المصوّر، أو الخريطة التي تحاكي التضاريس الجغرافية. والعلاقة بين الأيقون وموضوعه علاقة مشابهة في الخصائص الحسية أو البنيوية، ولا تعتمد على أي اتفاق اجتماعي. ومن أمثلة الأيقون أيضاً المخططات البيانية والرسوم التوضيحية والتمائيل. ويُعدُّ الأيقون أكثر العلامات بدهية لأنه لا يتطلّب معرفة مسبقة بالنسق العلامي لفهمه، إذ يكفي الإدراك الحسي المباشر لإدراك العلاقة بينه وبين موضوعه.

2. الإشارة أو الدليل (Index)

الإشارة علامة ترتبط بموضوعها بعلاقة سببية أو فيزيائية مباشرة، كالدخان الذي يشير إلى النار، أو أثر القدم الذي يدل على مرور شخص، أو الحمى التي تدل على المرض. والعلاقة هنا ليست تعسفية ولا مبنية على مشابهة، بل هي علاقة تلازم وجودي بين العلامة وموضوعها. وتُعدُّ الضمائر وأسماء الإشارة في اللغة أمثلة على الإشارات، لأنها لا تكسب معناها إلا بالربط الفيزيائي بينها وبين سياقها التواصلية المباشر. كما تندرج الإيماءات والتعابير الوجهية ضمن هذا التصنيف لأنها ترتبط بحالات نفسية وجسدية بعلاقة سببية.

3. الرمز (Symbol)

الرمز علامة ترتبط بموضوعها بعلاقة تعسفية اتفاقية تعتمد على قانون أو عرف أو اتفاق اجتماعي. فالكلمات في اللغة هي أبرز أمثلة الرموز، لأن لا شيء في أصوات كلمة "كتاب" يُشير طبيعياً إلى موضوعها. كما تندرج ضمن الرموز الإشارات المرورية والعلامات الرياضية والأعلام الوطنية. ويُشير بيرس إلى أن الرمز لا يمكن فهمه إلا ضمن نظام علامي يحدد قواعده واتفاقاته، وأنه يتطلب من المؤول معرفة مسبقة بالنسق الذي ينتمي إليه.

ثالثاً: نموذج العملية العلامية الثلاثية

يتميز نموذج بيرس بكونه ثلاثي الأقطاب، إذ تتكوّن العملية العلامية من: التمثيل (Representamen) وهو الشكل المادي للعلامة الذي يُدرك حسياً؛ والموضوع (Object) وهو ما تشير إليه العلامة في الواقع؛ والمؤول (Interpretant) وهو المعنى أو الأثر التأويلي الذي تُنتجُه العلامة في ذهن المتلقي. ويُعدُّ مفهوم المؤول من أبرز ابتكارات بيرس، إذ يُدخل البعد التأويلي في صلب العملية العلامية بدلاً من اعتباره عاملاً خارجياً. والأهم من ذلك أن المؤول نفسه علامة جديدة تُنتج مؤولاً آخر، مما يفتح باب التأويل اللامتناهي الذي يُعدُّ من أخص خصائص السيميوطيقا البيرسية.

رابعاً: اللامحدودية السيميوطيقية

يقرر بيرس أن عملية التأويل لا تتوقف عند حدٍّ، فكل مؤول هو بدوره علامة تحتاج إلى تأويل، وهكذا إلى ما لا نهاية. وتُعرف هذه الفكرة باللامحدودية السيميوطيقية (Unlimited Semiosis)، وهي تعني أن المعنى لا يُغلق أبداً بل يظل مفتوحاً على تأويلات جديدة. وقد استلهم أمبرتو إيكو هذا المفهوم ووظفه في تحليله للنصوص الأدبية والثقافية، مع التأكيد على أن الانفتاح التأويلي لا يعني تعسف التأويل بل تقييده بضوابط النص والسياق. وتُمثّل اللامحدودية السيميوطيقية نقطة الاختلاف الجوهرية بين بيرس وسوسير، فحيث يُغلق سوسير العلامة على ثنائية الدال والمدلول، يفتحها بيرس على سلسلة تأويلية لا متناهية.

الخاتمة

تُبين هذه الورقة أن مقاربة تشارلز سندرز بيرس السيميوطيقية تُوفّر إطاراً نظرياً شاملاً ومفتوحاً لتحليل العلامات، يتجاوز النموذج اللغوي الضيق الذي اقترحه سوسير. فتصنيف العلامات إلى أيقونات

وإشارات ورموز يُوقّر أداة تحليلية مرنة قابلة للتطبيق على مختلف أنواع العلامات، ونموذج العملية العلامية الثلاثية يُدخل التأويل في صلب إنتاج المعنى، ومفهوم اللامحدودية السيميوطيقية يفتح الباب أمام فهم ديناميكي للمعنى بوصفه عملية لا نتيجة. ولا تزال إسهامات بيرس حيوية في الدراسات السيميوطيقية المعاصرة، من تحليل الخطاب إلى السيميوطيقا البصرية إلى التفاعل الرقمي.

المراجع

- بيرس، تشارلز سندر. (1931-1958). الأعمال الكاملة. دار هارفارد للنشر.
- بيرس، تشارلز سندر. (1868). أسئلة حول بعض القدرات المزعومة للإنسان. مجلة العلوم الشهرية.
- إيكو، أمبرتو. (1976). نظرية السيميوطيقا. ترجمة سعيد بنكراد. دار توبقال.
- إيكو، أمبرتو. (1990). حدود التأويل. ترجمة انطوان أبو زيد. دار توبقال.
- موريس، تشارلز. (1938). أسس نظرية العلامات. دار شيكاغو للنشر.
- دي سوسير، فرديناند. (1916). محاضرات في اللغويات العامة. ترجمة يوثيل يوسف عزيز. دار الشروق.